سيرينا

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: سيرينا

تـأليــــــف: رانيا أحمد

القـطـــــع: 20*14

تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح

سنـة النشـر: 2024

النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 28359 / 2024

الترقيم الدولي (ISBN): 8 - 568 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-568-8

9 789778 445688

سيرينا

قصص قصيرة

رانيا أحمد

إهداء

إلى النفس التي أظن أنها سراب في سمائي الواسعة، عاجزة أنا عن الوصول إليها.

إلى النفس الرقيقة، الحنونة، الطيبة التي تحتويني برحمتها.

إلى النفس التي تحبني بلا مقابل، دون أنانية، وتقبلني كما أنا.

إلى النفس التي بحث قلبي عنها عبثًا دون جدوى، على يقين بأن الله سيهديني إليها يومًا ما.

إلى النفس القوية التي تمنيتها في خيالي وعقلي ووجداني، أمانًا لي، وسندًا، وأُنسًا.

إن كان لها وجود، فإني أهدي لها كتابي.

عن الكاتبة

رانيا صلاح، كاتبة إسكندرانية مصرية، حاصلة على بكالوريوس تربية، تخصص فيزياء وكيمياء من جامعة الإسكندرية.

لها عدة أعمال مثل غربة روح، امرأة ثلاثينية، وقالوا عنها.

اشتهرت بكتابة القصص القصيرة، والزجل، والشعر بالعامية المصرية، والخواطر.

شاركت في العديد من المعارض المحلية والدولية، ونشرت مقالات في صحف ومجلات مثل صحيفة الأخبار المصرية ومجلة المرأة العربية.

المقدمة

لم تدر أحلامي لأقصي درجة عنيدة أنا بتحقيقها منذ أن تراودني..

لم تعلم أنها تقف أمام امرأة قوية رغم رقتها.. فأخطأت التَحدي أمام من تستند علي الله رغم تقصيرها بتسليم أمرها كله إليه. لتدرك أنه ما أراد الله أن يكن فسيكون رغم أنف الجميع.

ولأجلك أيها الأبن الحنون والشاب القوي الذي ينير واقعي، لأجلك ايها الرجل الامين الذي ينير خيالي أحارب نفس تملكني، احارب كل من تمني فشلي، احارب قلب تائه وعقل مشتت بروح محاربه أقسمت أن تنجح وتأبي ما حيت أن تنهزم.

في عالم مليء بالقصص والأحداث، تنبض كل تجربة بحياة جديدة، تحمل معها معاني ودروسًا قيمة. من خلال هذه المجموعة، أقدم لكم مجموعة من القصص التي تعكس تجارب إنسانية متنوعة، تلامس المشاعر والأفكار والتحديات التي نواجهها جميعًا.

كل قصة هنا تجسد رسالة فريدة، سواء كانت عن الحب، الصداقة، أو التغلب على الصعوبات. سنستكشف من خلالها شخصيات مختلفة، ونعبر إلى عوالم جديدة، لنكتشف مصائر متباينة تعكس تنوع تجاربنا.

أدعوكم للغوص في هذه الصفحات، لاكتشاف العوالم التي خلفها كل حرف. فقد تجدون فيها صدى لتجاربكم الخاصة، أو لمسة من الفرح والحزن التي قد تشعل في قلوبكم شرارة جديدة.

نورة الطقطاقة

في ليلة غامضة وموحشة، كان الصراخ يمزق سكون البيت المجهول، لكن لا أحد سمعهم، وكأن أصواتهم تحولت إلى سراب في الفراغ. تملكهم الرعب، واستجمعوا ما تبقى لهم من قوة ليهرعوا بعيدًا. عندما هدأت أنفاسهم وحمدوا الله أنهم ما زالوا على قيد الحياة، قرروا أن يعتزلوا تلك الحياة إلى الأبد.

تبدأ الحكاية بفرقة "نورة الطقطاقة" الشهيرة في الكويت، التي سطع نجمها في التسعينيات. نورة إسماعيل، المعروفة بنورة، كانت فنانة شعبية كويتية تركت بصمتها في عالم الفن الخليجي. كانت تُغني، وتلحن، وتعزف على العود، وقد ورثت حب الفن عن والدتها، الفنانة صنعة.

سيرينا

في أحد أيام الجمعة من عام ١٩٩٧، بمنطقة الصباحية جنوب الكويت، كانت نورة وفرقتها مشهورة بقدرتها على إدخال البهجة إلى قلوب الناس. كانوا مطلوبين في الأفراح والمناسبات ليكونوا بديلاً عن الفرق الموسيقية المعتادة، وكونوا فريقًا موسيقيًا مكونًا من ست فتيات، يجمع بين الموسيقى والغناء والفرحة.

وفي ليلة غريبة، تلقت نورة اتصالًا من سيدة تطلب منها الحضور لإحياء حفل زفاف ابنتها الوحيدة. رغم تردد نورة ورفضها بسبب أنه يوم عطلتهم، وافقت بعد إلحاح السيدة التي قالت إن قلب ابنتها سينكسر إن لم تحضر نورة وفرقتها.

في اليوم المحدد، كان الجو ممطرًا والغيوم تغطي السماء منذ الصباح، وكأنه تحذير من القدر. لكن نورة والفرقة تجاهلن هذا الشعور بالقلق وقبضات القلب، وقررن الذهاب لما اعتقدن أنه فرصة لجني الرزق.

عند وصولهن إلى الفيلا الكبيرة، أحاط بهن جو من الغموض. كان هناك حديقة مليئة بالورود الحمراء، وكأنها مغطاة بالدم، وأشجار ضخمة تلوح في الأفق. دخلن إلى البيت، حيث استقبلتهن السيدة ومعها جمع غفير من الناس. قدمتهن إلى العروس ذات البشرة السمراء والعينين الزرقاوين الغريبتين، وكأنها ليست من البشر.

بدأ الحفل بصخب ورقص وأغاني، وكان الجميع منغمسين في جو من الفرح الممزوج برهبة غير مبررة. كلما توقفت الفرقة لأخذ استراحة، كان الحضور يصر بشدة على مواصلة الحفل، وكأن هناك شيء غريب يتحكم فيهم.

فجأة، لاحظت إحدى الفتيات أن أقدام الحضور لم تكن أقدام بشر، بل أقدام ماعز تتحرك بشراهة في كل اتجاه. هنا، تأكدن أنهن في حضرة الجن وليس البشر. ورغم الفزع الذي تملكهن، كانت السيدة تصر على أن يواصلن حتى أذان الفجر كي لا يتعرضن للأذى.

مع أذان الفجر، توقف كل شيء فجأة. اختفى الجميع في لحظة، ووجدت الفرقة نفسها وحيدة في بيت مهجور مظلم مليء بالعناكب والحشرات. هرعن للخروج، ولما نظرن حولهن، لم يجدن الحديقة التي كانت مليئة بالورود الحمراء، بل كان الضباب يلف المكان. حمدن الله أنهن خرجن سالمات.

ومنذ تلك الليلة المشؤومة، أقسمن أنهن لن يعدن إلى العمل مرة أخرى، وقد كان.

سيرينا

كان يومًا حارًا، تشتد فيه حرارة شمس أغسطس الحارقة، استيقظت فيه سيرينا على صوت طرقٍ خفيف على باب غرفتها المطلة على النيل الهادئ. كانت الغرفة تتميز بإطلالتها الساحرة، حيث هربت سيرينا إلى هذا المكان من صوت أبيها المزعج لروحها، تاركةً وراءها منزلها بكل ما يحتويه. كانت قيود والدها تخنقها يومًا بعد يوم، حتى باتت حِملًا ثقيلًا على كاهلها، وتمنت التخلص منها يومًا ما.

أسرعت نحو الباب لتفتحه، لتجد النادل يحمل كوب قهوتها المفضلة التي تحتسيها كل صباح. حيته بابتسامة خفيفة، وذكرته بموعد قهوتها المسائية.

تُرى، إلى من ستلجأ الابنة الوحيدة؟ أم ستظل وحدتها أنيسًا لها؟

سيرينا

كانت سيرينا تراقب في صمت جيرانها في الفندق. الغرفة المجاورة يسكنها زوج وزوجته، وفي الجهة المقابلة رجل وابنته الصغيرة وأمها. كانت حياتها هادئة وصامتة، أشبه بروحٍ فارغة، سوى من التخيلات التي كانت تبقيها على قيد الحياة. حياةٌ قاسية، لكنها لم تعرف بعد ما الذي تريده أو إلى أين تسير.

ارتدت ملابسها بسرعة، وأخفت آثار الدموع في عينيها لتبدو سعيدة، رغم أن قناع السعادة لم يستطع أن يغطي وجهها الشاحب وعيونها الدامعة. توجهت بعدها لتغيير رقم هاتفها لرقم جديد لا يعرفه أحد. قررت أن تترك كل قديم خلفها منذ وفاة والدتها، فقد كانت الابنة الوحيدة المدللة. وبعد فراق الأم الثرية التي تركت لها ثروة طائلة، لم تعد بحاجة إلى أحد. لكن الأب القاسي لم يعلمها سوى الكره والقسوة طوال عشرين عامًا.

تحملت عامًا كاملًا، لكنها لم تحتمل يومًا آخر بعده. فتركت المنزل دون أن تنظر وراءها.

ورغم امتلاكها ثروة طائلة، لم تستطع شراء الحب أو الدفء أو العائلة التي تفتقدها. لم تستطع أن تشتري الأمان لروحٍ فقدت هويتها على يد أغلى من كان لديها في هذه الحياة.

انتقلت سيرينا من الفندق إلى فيلا فاخرة، تنقلت بين العديد من الأماكن بحثًا عن ضالتها، لكنها لم تجدها.

في لحظة تأمل، أغلقت عينيها، لترى نفسها مع عائلة صغيرة يتشاركون في فطور شهر رمضان الكريم. كأن القدر جمعها معهم لتصبح جزءًا من تلك العائلة الصغيرة التي رزقها الله بها. امتزجت ضحكاتهم معًا في نموذج مصغر لما حلمت به.

فتحت عينيها على وحدتها، وقد غمرت الدموع عينيها المرهقتين، ثم عادت إلى خيالها في صمت من جديد.

ذنب ببيت الله الحرام

شارفت دقات الساعة على خمس دقائق قبل العاشرة صباحًا في يوم شتوي ممطر، حيث امتزجت السماء بالغيوم ورائحة المطر. استيقظت مشيرة على صوت هاتفها الخلوي لتجد أختها فاطمة تحدثها عن رغبتها في القيام برحلة إلى بيت الله الحرام. تهلل وجه مشيرة، وأجابت بسرعة بالموافقة، فقد تعلق قلبها بهواء مكة وطيب نسماتها.

أغلقت الهاتف، معلنة استعدادها لرحلة طالما حلمت بها واشتاقت لها روحها الطيبة منذ سنوات طويلة. أخبرت زوجها وابنتها الوحيدة، التي عادت مؤخرًا من عمرتها، بقرارها، وشاركتها فرحتها. بدأت تستعد للرحلة بمساعدة ابنتها المحببة لقلبها، ونظمت الحقائب بثوب أبيض ناصع، بدت فيه كملاك نقي، أذن الله أن يستضيفه في بيته.

سيرينا

بفرحة غامرة، ودع الزوج وابنته زوجته برحلة في رحاب الله، لتكون ضيفة عند الكريم، وتحقق أمنية كانت لسنوات بعيدة المنال.

مر يوم، ثم يومان، ولم تطمئن الابنة على والدتها. حاولت جهدها التواصل مع خالتها ولكن دون جدوى، ظنت أن خالتها ووالدتها عاجزتان عن التواصل. أما زوج مشيرة، رغم اتسامه بالجمود، كان قلبه يخفق بغيابها، فقد أصبحت زوجته نبضًا لحياته.

استيقظت الابنة على صوت رجل لم تتخيل أن القدر سيجمعها به يومًا ما، وكأن دعاءها قد استُجيب وتضرعها إلى الله قد أُجِيب. لتكتشف قسوة خالتها مع والدتها وانعدام رحمتها، فانفطر قلبها خوفًا وحزنًا على من حملتها تسعة أشهر وهنًا. تمنت لو تكون تحت قدميها تقبلهما.

لم يكن بيد الابنة سوى الصبر، وهي تتعجب من تصرفات خالتها التي كانت بعيدة عن الإنسانية تمامًا. أصبح أملها في رحمة الله، الذي

أرسل إليها رجلًا كان حلقة وصل بينها وبين والدتها، إلى أن اقترب موعد عودتها، رحمةً بابنتها التي تربطهما روح واحدة.

عادت مشيرة مريضة حزينة، لا تملك فرحة سوى رؤية الكعبة المشرفة، ودعاؤها أمامها. تلك اللحظة كانت كل ما تتذكره من لطف الله بها. احتضنتها ابنتها بين دموعها، ليزول خوفها وتطمئن روحها.

بعيون مليئة بالدموع، امتزجت مشاعر الفرح بعودة الأم مع الحزن على إهمالها من قِبَل أختها. وبعد معرفة الابنة بمرض خالتها النفسي، الذي كان يستدعي علاجًا، شعرت بالمزيد من الشفقة.

أمام الجميع، استغاثت الأم بابنتها بنظراتها دون أن تنطق بكلمة، وقبلت يديها في ذهول الجميع، معلنةً أن ابنتها هي مأمنها وأمانها في هذه الحياة. قبلت الابنة يد والدتها، ودعت لخالتها بالشفاء.

ظل الأب بجانب زوجته حتى تعافت صحتها، وأعطاها من روحه وقلبه وعقله، لتنير بيته من جديد وتنير قلبه، الذي لم يدرك أحد مدى حبه لها إلا بعد أن فقدها.

حين تقسوا الحياة

وفاقدة لأمل تمنت ألا ينقطع وأن يدوم، حياة حزينة ووحيدة لم تكن يومًا من اختيارها. فقد اكتست سنوات عمرها الطويلة بلون الحِداد، حتى أوشكت تلك السنين أن تأكل روحها الخصبة وتتركها رمادًا يحترق، ليصبح في النهاية سرابًا.

هي فتاة جميلة، لم تصل بعد إلى الشيخوخة، بل كانت في ريعان شبابها، في ذروة أنوثتها التي كانت الأيام والمحيط يدفنها يومًا بعد يوم. تمنت لو أن الحياة تقتلها حتى لا تقع في غضب ربها، إذ شعرت بأن اليأس الذي يسكنها قد يأخذها بعيدًا عن الله.

كانت تعيش في عالم خيالي يكاد أن ينهار، إلا أنها كانت تحاول أن تحيا فيه، تلك السيدة الشابة الموهوبة التي شهد لها الجميع بجمال الخِلقة والخُلق. لكنها الآن تبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا،

وأوشك عمر الأربعين أن يفتك بها. وفي شتاء قارس البرودة، رغم عشقها للشتاء، تمنت دفء شمسها، وكأن القلم قرر أن يحوك قصتها الحزينة لعلها تجد النهاية قبل أن تنتهي حياتها البائسة.

وُلدت الفتاة وحيدة، رقيقة، تعيش مع أخت مريضة تلازم فراشها، ورغم أن أختها كانت تلازم جسدها، إلا أن روحها كانت تبحث دومًا عن السند الذي لم تجده أبدًا. عاشت بين أخت مريضة وأبوين لم يجمعهما الحب قط. فما كان بينهما إلا مشاحنات وصراعات لا تدل إلا على جهلهم بمعاني الحياة الزوجية السليمة. أما والدها، فكان رجلًا بعيدًا كل البعد عن لقب "أب"، يفتقر إلى التربية والأخلاق التي يمكن أن ينقلها إلى ابنته الوحيدة، تلك الفتاة التي لا حول لها ولا قوة. كان ذنبها الوحيد أنها وُلدت من رحم معاناة أمها التي لم تملك سوى قلب طيب يزيد عن الحد.

سيرينا

كانت حياتها مزيجًا من الوحدة والضياع، إذ تذكر طفولتها كفترة خالية من الصديقات في المرحلة الابتدائية، حيث كانت تُلقب ببدينة الفصل وتتعرض للتنمر من زملائها الذين لم يعرفوا الصداقة.

كانت تواجه كل يوم عالمًا قاسيًا لم تفهمه بعد، تهرب منه في نهاية كل يوم إلى غرفتها المغلقة بأربع جدران.

كان والدها يأخذها معه إلى السوق، حيث كان يعمل تاجرًا. بالنسبة له، كانت هذه "نزهة" للطفلة، لكنها لم تكن تعلم أنه كان يضعها بين العمال والصبيان الذين لم يروا فيها سوى طفلة تائهة، وجعلوها فريسة سهلة. كان والدها يجهل معاني الأبوة، وكان تحرش بعض الرجال بها شيئًا لا يمكن أن تستوعبه، لأنها لم تكن تفهم طبيعة هذا الشعور الذي كانوا يمنحونها إياه. شعرت بلذة زائفة لم تدرك معناها.

كانت حياتها مليئة بالمآسي، والطفولة التي عاشت فيها لم تكن إلا سلسلة من التجارب المظلمة التي منحتها ألمًا لا ينتهي.

لم تتذكر سوى أحد البيوت القديمة الكئيبة في إحدى مناطق القاهرة الشعبية التي تتسم بالانحطاط. كان صديق والدها يستدرجها بقطعة حلوى أو بحضن افتقدته ممن يُسمى أبًا لها. كانت حياة تمنت أن تنتهي منذ بدايتها، لتجد نفسها مدمنة على إحساس لم تُدرك ماهيته.

مضت الأيام بثقلها بين أبٍ لا يُعلمها سوى السرقة والكذب، وأختٍ قعيدة مُلازمة لفراشها، وأم لا حول لها ولا قوة، كل ما تذكره عنها أنها موظفة منشغلة، تعمل لتوفر ما تيسر من المال لتصرف به عليها وعلى أختها المريضة. كانت الأم تأتيها بكل ما تتمنى من ملبس ومأكل ومشرب، وتقوم بدور الرجل الغائب عن البيت، الذي لم يكن حاضرًا إلا بصوته العالي المزعج لها على الدوام.

لم تجد الفتاة ذاتها في تلك الحياة الأسرية المفككة رغم اكتمال عناصرها. أصبحت ابنة الإعدادية تلك الفترة التي بدأت تجد فيها نفسها، حيث تفتح عقلها رويدًا رويدًا، وبدأت تُكون صداقات.

سيرينا

كانت تحب مدرستها، بجدرانها التي كانت تسعها وتسع تفوقها الدراسي وتميزها. كان عالمها رغم الصعوبات والقيود التي فرضها والدها، الذي تفنن في قمعها بخوف زائد لا مبرر له سوى الجهل بالحياة.

نضجت وهي لا تدري شيئًا عن العالم خارج حدود مدرستها وغرفتها، التي كانت بمثابة ملاذها في منزل عقيم غاب عنه حنان الأب، الذي باتت تبحث عنه في الخارج، في أي مكان ومع أي شخص. منزلها كان بلا دفء ولا حياة، وجدرانه كانت محض خيال في عقلها.

أحبت نفسها من مغازلة الشباب لها في فترة المراهقة، إلا أن الله حفظها منها، وصنعها على عينه، فكانت وحيدة لم تنساق للسرقة والكذب مثل والدها، ولا للاستسلام مثل أمها، ولا حتى للغفلة مثل أختها، التي لم يكن لها دورٌ في حياتها، سوى إحساسها بالعجز عن مساعدتها.

سيرينا

كانت متميزة بضحكتها، بصفاء سريرتها، وبضعفها الذي لم تدرك أنه يخفي قوتها الحقيقية، تلك القوة التي لم تظهر بعد. انتقلت إلى مرحلة الثانوية، وبدأت تحارب تعنت والدها، الذي كانت صفاته القبيحة تزداد يومًا بعد يوم مع تقدمه في السن. ومع زيادة صوته الأجش المزعج، نضجت الفتاة التي لم يكن لها في حياتها سوى الله بعد والدتها، التي لم تعرف منها سوى المشاجرات المستمرة مع والدها.

كان والدها يكره ضغوط الحياة ومرض أختها، ولم يكن يتحملها، فكان يوبخها ويقلل منها باستمرار، بدلًا من أن يُعلمها أو يُوجهها. تركها فريسة لكل طامع، لمجرد أنها كانت تبحث عن حنانٍ تفتقده في حياتها، التي كانت أشبه بغابة قاسية مظلمة. لم ينير حياتها سوى نور قلبها الذي ألقاه الله بداخلها، ليصبح ملهمًا لها في بقية حياتها التي لم تنتهِ بعد.

وكيف لطالبة أن تلتحق بالقسم الأدبي وقد فُرض عليها أن تختار قسمًا علميًا بحتًا؟!

انتبهت على صوت دكتورها الوقور في القسم العلمي، الذي وجدت نفسها فيه رغم مقتها له. حدثته عن رغبتها في الانتقال، في محاولة منه لتهدئتها وإقناعها أن بداية كل شيء ليست سهلة، وأن علينا الرضا بما كتبه الله لنا. هدأت روحها قليلًا، مستسلمة لرغبة دنياها بالتحاقها بقسم لم تتمنه يومًا.

استأذنت دكتورها، الذي اتسم بأخلاق راقية، لتلتحق بمحاضراتها التي كانت تعيش بها أيامها وسنينها الجميلة في الجامعة. كانت تلك الفترة هادئة نوعًا ما، إذ اكتفت بصديقة واحدة، جمعت بينهما تربية شديدة الانغلاق ومعقدة، تشابهت مع ظروف والديهما واستسلام أمهاتهما. كانت حياة أسرية تنشغل عنهما، وعنوانها الإهمال.

نضجت الفتاة، ولم يدرك والدها بعد أنها نضجت، فكان يعاملها وكأنها طفلة صغيرة، يلازمها أينما ذهبت، مما سبب لها الإحراج أمام زميلاتها وكل من يعرفها، وكأنها ما تزال طفلة في السابعة من عمرها. حاولت أن تثبت ذاتها، ولكن دون جدوى ودون هدف سوى أن تتحرر من جلباب والدها الذي كان يقيدها به طيلة حياته، وما زال حتى اليوم.

كانت حياتها في الجامعة مليئة بالمحاضرات والروتين اليومي المتكرر، الذي لم تدرك آنذاك أنها سوف تتمنى استمراره لما كان يحتويه من راحة بال وقلة مسؤولية.

وفي صباح أحد الأيام، الذي لم تكن تعلم أنه سيغير مسار حياتها إلى حد ما، وبنهاية السنة الأولى من الجامعة، زفت لوالديها خبر نجاحها بتفوق. وعدها والدها بشراء هاتف خلوي جديد لها، ولم تهتم بمن سيدفع ثمنه، هو أم والدتها. لم يكن الهاتف شائعًا حينذاك،

وكان يملكه فقط أغنياء الشعب. شعرت بفرحة غامرة عندما اشتراه لها، بخط مميز.

خلال يومين، كانت تستخدمه بفرحة الطالبة الناجحة الفخورة بذاتها، لكن مللها لم ينتهِ عند هذا الحد. كانت تبحث جاهدة عن شخص يحنو عليها لتعوض قسوة والدها وقوة والدتها وسند أختها، التي لم تكن علاقتها بها سوى مرافقتها للطبيب وقلب موجوع لا يملك لها حلًا.

تعرفت على شخص ما من خلال رقم خاطئ. كانت تبحث عن رفقة، عن أحد تتحدث معه لتضييع الوقت، لكنها لم تكن تعلم أن ما سيضيع هو عمرها. تبادلا أطراف الحديث، وتعّمقت علاقتهما حتى أصبح حبًا نضج تدريجيًا يومًا بعد يوم.

إلى أن أتى اليوم الذي اعترف لها فيه حبيبها باستحالة ارتباطهما لاختلاف ديانته، وهو الأمر الذي لم تلاحظه طوال سنوات جمعتهما،

دون أن يلتقيا. كان كل ما يجمعهما هاتف مكون من أحد عشر رقمًا، حتى لو ضاع الرقم، لم يضِع حبهما.

اعترف لها بأنه كان يخدعها حتى تمكن من حبها، لكنه عجز عن الاستمرار في الكذب عليها، لما فيها من براءة لا تستحق خداعه. لم يمتلك الشجاعة ليبلغها بحقيقته بنفسه، فكلف صديقه بهذه المهمة الصعبة والصادمة، التي لم تستوعبها.

حدثها صديقه بأن حبيبها ليس على دينها، وأنه يستحيل أن يجمعهما الله في الحياة. لم تعرف الفتاة ماذا تفعل، فقد كان كل ما تعلمه هو أن قلبها يحبه بجنون. حاولت الابتعاد عنه مرارًا وتكرارًا دون جدوى، وحاول هو الابتعاد عنها، لكنها كانت تصر على البقاء بقربه، وفشلت في نسيان من أحبته بصدق.

ظلوا على هذا الحال لسنوات، بعشرة جمعت بينهما دون أن يلتقيا سوى مرتين فقط، وكانتا كافيتين لبقاء نار حبهم مشتعلة دون أن تخمد. كان غياب الله عن حياتهم كاملًا، وغياب من يوجههم

ويعلمهم، غياب كل شيء سوى قلوبهم التي كانت تنبض بعشق صادق جمعهما وأبقاها على قيد الحياة. كان حبه هو طعم حياتها، رغم مرارته أحيانًا، إلا أنه كان منقذها الوحيد.

مرت السنين، وتخرجت من جامعتها لتجد حياتها أشبه بغابة مليئة بالوحوش. اكتفت بعالمها السري، الذي لم يعلم به أحد، وكأنه كان ملاذها الوحيد. بعد مدة قصيرة، التحقت بعمل له علاقة بتخصصها، استمر لعامين اتسما بالهدوء، ولكنه كان هدوءًا يسبق عاصفة لم تكن تعلم متى ستأتي.

ثم جاء اليوم الذي سمعته فيه من حبيبها الكلمات التي كانت تعلمها في أعماقها ولكنها كانت ترفض تصديقها: "مش هنقدر نكمل مع بعض، لازم أبعد عنك وأبدأ حياتي، وأنتِ كمان." تلك الكلمات صدمتها مرة أخرى، رغم أنها كانت تعلم بواقعها. اختفى

حبيبها من حياتها تمامًا، ليتزوج من الفتاة التي اختارتها له والدته، ويتركها وحيدة أكثر مما كانت عليه قبل معرفته.

غرقت في عملها، محاولةً إقناع نفسها بأنها تحبه، واستسلمت لبعد من كان يمدها بالحياة. أصبحت جسدًا خاويًا بلا روح. كانت شابة مميزة، تتسم بالصدق والصراحة والبراءة. لم تنغمس في قبح العالم من حولها، ولا في قسوة والدها التي حاول دون قصد منه أن يورثها إياها.

كانت محبوبة بين زملائها في العمل، إلا من حسدها بسبب حب الناس لها ولما وهبها الله من قبول. مضت أيام وسنوات، وظهرت في حياتها تجربة جديدة. اقترب منها رجل لا يستحقها، متظاهرًا بحب كاذب وإعجاب مصطنع. كانت طيبتها وحنان قلبها فريسة سهلة لهذا المنافق، الذي تقدم لخطبتها. رغم تحذيرات من حولها بأنها تستحق أفضل، أصرّت على المضي قدمًا، رغبةً في الخروج من سجن بيت أهلها وسجن والدها الذي أهلك روحها يومًا بعد يوم.

مرت الحياة معها بتناقضات كثيرة، تناقضات أكمَلَت بعضها بعضًا وكأنها محاولات فاشلة لتوحيد الملح والسكر. غامضة، لكنها كانت كتابًا مفتوحًا لمن يعرفها. هادئة، لكن بداخلها بركان يوشك على الانفجار. ضاحكة، رغم عبوسها الدائم. حزينة، لكنها تتمنى الفرح. باكية، ودموعها لم يلاحظها أحد. حكيمة رغم لحظات جنونها. شاردة رغم يقظتها.

كانت وكأن تمرد الأرض والسماوات تمثل بها. طاقتها أوشكت على النفاد، رغم محاولاتها المتكررة لشحنها من جديد دون جدوى. عاشت حياة مليئة بالطاقة المستهلكة والقوى المنهكة، حياتها كانت مرهقة، وبيت خطيبها لم يكن سوى مكان باهت يفتقد للثقة والأمان.

يومًا بعد يوم، ذبلت الوردة الناضجة، وتساقطت أوراقها تدريجيًا. كان قلبها يملأه القلق المستمر، كأنها كانت تشعر أن بيتها

سينهدم في أي لحظة. تُرى، هل ستنتهي حياتها الحزينة التي رسمها لها القدر، أم ستعيش لحظات هادئة فيها بعض السعادة؟

الذنب المدمر

تأملتُ صورتي الباهتة التي انعكست عبر ظلال ضوء غرفتي الخافت، لأرى ملامحًا ضاق بها الزمن، فبدت أكبر سنًا من عمري الثلاثين. نفثتُ تنهيدة ملؤها الإرهاق، بعد كل يوم يمضي من عمري، ثم رشفتُ القليل من فنجان قهوتي علّه يعيد لروحي بعضًا من الطاقة المُنهكة. رميت بجسدي على فراشي، أنظر إلى سقف غرفتي المزركش العالي، أتأمله وأهرب بخيالي بعيدًا عن واقعي، وأغوص في لحظات المرح القليلة بعقلي لأكسر صمت حزني وأيامي ولياليّ الباردة التي قررت فيها ألّا أذهب إليه.

لم يكن أبي ضابطًا عاديًا، ولم تكن أمي بالنسبة له سوى حكاية أراد أن يلهو بها، لكن شاء الله أن تكتمل وأن يقع في غرام سيدة أصبحت أمًا لي وعمرًا له. رغبة دفينة في داخلي ودموع تترقرق في عيني تكاد أن تسقط، أهرب منها بالنوم، وأتساءل كيف آل بنا الحال إلى هذا.

بدّلتُ ملابسي وأطفأت ضوء غرفتي، وارتميت بأحضان فراشي مستندة على وسادتي. على صوت أمي استيقظتُ من خيالي بفزع، لأجد صوت صراخها يتردد في أذني. نهضتُ رغم أن قدمي لم تكونا قادرتين على النهوض، لأجد باب غرفتي لم يعد مغلقًا كما تركته. ناديت: "أمي! أين أنتِ؟" بصوت متقطع بالكاد يخرج من شفتيّ المرتعشتين، اخترق الظلام.

تقدمتُ ببطء، تاركةً خلفي خوفًا يملأ نفسي، جاهلةً ما ينتظرني. وإذا بالمرحاض مضاء، فارغًا إلا من برودته القارسة التي اهتز جسدي لشدة تأثيرها. استدرت فجأة لأجد أمي أمامي على حافة الباب، جاحظة العينين، وكأنها ظهرت من العدم. بخطوات بطيئة، غادرتني إلى غرفتها، ولم تلتفت إليَّ رغم أنني ناديتها. كانت مشاهدتها في هذا الصمت المخيف تترك بداخلي قبضة شعرت بها في قلبي، وأسئلة لم أستطع نطقها، وكأن شيئًا لم يكن.

ومع ظهور ضوء الشمس الذي استقبلته عيناي التي لم تذق طعم النوم، بدأتُ يومي بوهن. ذهبت إلى غرفة الطعام وقلت: "صباح الخير يا أمي." نظرت إليّ ولم تجب، ثم غادرت إلى غرفتها في هدوء مخيف لم أجد له تفسيرًا. أسرعت خلفها متسائلة: "أغاضبةٌ أنتِ مني؟ وكأن قلبك يأبى الاقتراب من قلبي." دنوتُ منها برفق ووجل وسألتها: "ما بكِ؟" فردّت بكلمة واحدة: "معذَّبة..." كانت تجلس على فراشها قبالتي دون أن تلتفت لي، وضحكت ضحكة عالية ممزوجة بأنين مفزع كفزع طفل تائه دون أمه في الظلام. احتضنت وسادتها لتذهب في سبات عميق، وتركتني في خوف شديد.

انتبهت إلى جرس الباب يدق مبكرًا. نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط لأجدها لم تتجاوز العاشرة صباحًا، في يوم بارد لا تقل برودته عن برودة ليلتي. فتحت الباب لأجد صديق أبي الوفي، جاء ليصحبني في موعدنا المتفق عليه لزيارة أبي المريض في المستشفى. رحّبت به ودعوته للدخول لاحتساء قهوته الصباحية معنا قبل أن

نغادر. ناديت أمي مرارًا ولم تُجب، فاعتذرتُ له عن غيابها بحجة إرهاقها بسبب رعايتها لأبي حتى ساعة متأخرة من الليلة الماضية.

نظر إليَّ بحزن، ودموع تكاد تسقط من عينيه، حاول جاهدًا إخفاءها. ربت على كتفي قائلًا: "لننطلق، لنطمئن على والدكِ، فهو بحاجة إليكِ."

وفي نهاية يومي الشاق الذي أنهيت فيه عملي، وبعد أن اطمأننت على والدي في غيبوبته، وقفتُ على قمة صخرة يحيط بها زبد البحر.

جلستُ وحيدةً برفقة كتابٍ لا أطالعه، أفكر: هل سيعود أبي من جديد؟ كنتُ أتأمل الأفق البعيد وشفق السماء تارة، وأعماق البحر تارة أخرى. أراقب احتضان البحر للشمس، وأصغي إلى همساتٍ تناجيني. أهي خارجة من بين أسطر كتابي، أم آتية من شفق السماء بلونه الأحمر الناري، أم صاعدة من أعماقي الداكنة؟

فجأة، نهضتُ لأجد أمي في المياه القاتمة تستنجد بي لإنقاذها. غاب عقلي، فألقيتُ بنفسي في الماء، وهاج الشاطئ بمن عليه، وارتفع

الضجيج والصياح. كنت أصارع الأمواج المتلاطمة لإنقاذ أمي، وفي اللحظات الأخيرة لم يظهر مني سوى أذرع مضطربة تتضارب مع الأمواج. تجمع الناس بقلوب راجفة، حتى وصل المنقذون إلينا، وبصيحة فرح علت من الجميع حين تم إنقاذنا.

وبصوت متحشرج وأنفاس متقطعة ووجه مبلل، بادرت أمي الحديث الموجه إليّ قائلة: "بأي حق قُتلت؟". ظننتُها تهذي، فحاولت تهدئتها. ساعدتها على النهوض لتستلقي في فراشها، ثم طبعتُ قبلة حانية على جبينها، وتركتها لأحظى بقسط من الراحة قبل رحلتي الشاقة لزيارة أبي من جديد.

ثم جاءني الخبر الصاعق: "سقط الحكم عن أبيك، ليحكم فيه رب السماء. سامحه الله على قتل والدتك بغير عمد، وقتل نفسه عمدًا لينهي حياته بيده بعد أن جلدها، ليكفّر عن الرصاصة الخاطئة التي استقرت في قلب رفيقة حياته، وأنهت حياتهما معًا. تغمده الله برحمته، وألهمكِ يا ابنتي الصبر والقوة لتحمل هذا الابتلاء."

سيرينا

كانت الكلمات كالصاعقة في ليلة رعدية موحشة. وفي صباح يوم كئيب بلون الليل، لم تعلن الشمس فيه عن إشراقتها. بدت الشمس كأنها تبكي بدموع من نار، امتزجت بدموعنا، حائرة وعاجزة عن إخماد الحزن الغائر في أرواحنا. بذهول، لم أنطق بعده حرف قيد أنملة.

قصتي

اسمي رانيا صلاح الدين، إنسانة قبل ما أكون كاتبة.

عمري ٣٨ سنة، أو دعيني أقول ٣٩، فأنا من مواليد ١٩٨٥، لكن سأعتبرهم ٣٨ وسأتوقف عند هذا الحد.

أتمنى أن تتحمليني وأنا أحكي لكِ قصتي، ربما أكون مصدر قوة لأي إنسانة تقرأ كلماتي وتشعر أنها ضعيفة أو متعبة.

أنا بنت عادية جدًا من أسرة متوسطة، مثل أي فتاة كان حلمها دخول كلية قمة، لكن مجموعي لم يؤهلني لدخول صيدلة، ولم أتمكن من تحقيق حلم أمي التي كانت ترغب بشدة في دخولي تلك الكلية، كان ذلك حلمها وليس حلمي.

دخلت كلية التربية، وكان حلمي دخول قسم البيولوجي، لكن نص درجة فرقوني، فوجدت نفسي في قسم الطبيعة والكيمياء، لم أكن

أحبه ولم أكن أفهم شيئًا في البداية، لكن مضيت قدمًا ونجحت فيه، رغم أنني ما زلت لا أتذكر الكثير منه، ولكن ما علينا.

انتهيت من الكلية، وكان من المفترض أن أبدأ العمل، لكنني كنت أرفض أي وظيفة. كنت أخاف من الناس وأشعر بالإحراج، ودائمًا ما كان يراودني إحساس بأنني وحيدة.

كان لدي أخ، كان ملاكًا، لم أكن أدرك قيمته حتى فقدته. أخي، رحمه الله، كان من أطفال متلازمة داون، كان دائمًا يدعو لي ويقول "يارب" وكان الوحيد الذي أحبني بصدق ولم يجرحني أبدًا.

كنت أعامل معاملة خاصة بسببه أحيانًا، وكان ذلك يسبب لي الحزن الشديد. تألمت كثيرًا نفسيًا وشعرت بوحدة شديدة، خاصةً أنني لم يكن لدي أخوات بنات، كم كنت أتمنى ذلك.

أخي لم يكن يتحدث، لكنني كنت أجلس بجواره، أبكي أو أحكي له ما في قلبي، حتى وإن كان لا يفهم، كان وجوده يكفي. ألف رحمة ونور عليه.

كنت تائهة، لم أكن أحب فكرة العمل كمدرسة، ولم أكن أعرف ما الذي أريده حقًا. كنت أتحرك دون هدف. ثم جاء خالي، رحمه الله، وقال لي أن أعمل كمدرسة تعليم عن بعد في مجال الإرشاد الأسري والتربوي، ولم أكن أفهمه تمامًا. كنت أستعين بمن هو أكثر مني علمًا، ولكن ما كان واضحًا للجميع هو أن الطلبة، الذين كانوا في أعمار أكبر مني بكثير، أحبوني واحترموني بشدة، رغم أنهم لم يروني قط، ورسائلهم ما زالت لدي إلى الآن مليئة بالشكر والحب لي. أحببت هذا الشعور جدًا.

في فترة من حياتي، فتحت جروبًا لبيع الملابس والأدوات المنزلية، قلت لنفسي سأجرب شيئًا جديدًا بدلًا من العيش بلا هدف كما كان يُقال لي. كنت أحب هذا العمل، والناس أحبوني رغم صعوبة إرضاء الجميع بالطبع، لكنني لم أشعر أنه مكاني الحقيقي.

استمررت فترة ثم أغلقت الجروب. كانت تجربة عرفتني على الكثير من الأشخاص الرائعين الذين أصبحوا أعز أصدقائي حتى الآن، وأنا أحبهم جدًا جدًا.

سمعت العديد من الإحباطات من كثير من الناس. قيل عني إنني "أعاني من تهيؤات"، وتعرضت لسخرية وتقليل من طريقتي في الكلام، وأسلوب حياتي، حتى في أبسط الأمور مثل جلستي وطعامي، كأنني أملك سبع أرجل!

تعرضت للإهانة، وشعرت بالقهر، وقيل عني إنني "غبية وفاشلة". وفي كل مرة، كنت أنهار بمفردي، ثم أعود وأقول: "ما زلت حية"، وأحاول وأكافح، أقع وأقوم، وهكذا. ورغم ذلك، كنت تائهة، لا أعرف ما أريد.

قد رزقني الله بأصدقاء كانوا ولا يزالون سندًا لي. كلما وقعت، يسندونني حتى أستطيع الوقوف مجددًا، وقد تحملوني كثيرًا، والحمد لله، أسأل الله أن يحفظهم لي.

في عام ٢٠١٨، توفي أخي فجأة بعد معاناة استمرت أسبوعين. في يوم من الأيام، خرجت من المنزل، ومن رحمة الله أنني لم أكن حاضرة لحظة وفاته. اتصلوا بي وقالوا: "أخوك تعبان". عندما عدت، وجدت أنه قد توفي ليلة الجمعة. جلست بجواره طوال الليل، أقرأ القرآن، وأمسح وجهه الذي كان مبتسمًا كأنه نائم، وأبوس رأسه بين الحين والآخر. كانت ليلة صعبة للغاية، فهي المرة الأولى التي أرى فيها شخصًا ميتًا، والأصعب أنه كان أخي. شعرت وكأنني قد انقسمت إلى نصفين، وكانت روحي تؤلمني، وكان هناك وجع قوي في قلبي.

بعد فترة، عدت للكتابة، التي كانت هوايتي منذ أيام الجامعة، حيث كنت أكتب الزجل والخواطر والشعر باللهجة العامية، لكن لم

سيرينا

يكن أحد يراها، فقد كنت أكتبها لنفسي فقط. حصلت على فرصة من كاتبة متميزة لحضور ورشة كتابة قصة قصيرة، وكان ذلك يبدو مستحيلًا في ذلك الوقت، لأن والدي كان من الصعب أن يوافق على سفري. ولكنه وافق بشكل غير متوقع، وتدبرت الأموال من مال أخي، وكأنه كان يدفعني لتحقيق حلمي.

قبل الورشة بأسبوع، حلمت بحلم يوحي بأن حياتي ستتغير وسأصبح ذات شأن. وبعد الورشة، بدأت حياتي تتغير، وبدأت أكتب أكثر. قال لي الكاتب الذي أدار الورشة إن قصتي قد نالت إعجابه، وذكر لي: "ستكونين ذات شأن كبير، اقرئي كثيرًا واصبري". مضت سنتان، وكتبت ١٥ قصة قصيرة.

وسط كل الإحباطات والأسئلة التي كانت تراودني مثل: "ماذا ستصبحين؟" و"لماذا تسافرين أصلًا؟"، كنت أسير في طريق الله الذي كان يدفعني إليه، وروح أخي كانت معي في كل خطوة. كتبت عن قصة وفاته، وقد تأثر الجميع الذين قرأوا القصة.

عرضت كتاباتي على العديد من المجلات والصحف الإلكترونية، ورغم التحديات المتكررة، كنت مصممة على الاستمرار، لأثبت للجميع الذين كانوا يحبطونني أن ما أنجزته يستحق التقدير. استمرت محاولاتي بفضل أناس طيبين كثيرين ساعدوني وشجعوني.

أخيرًا، شعرت أنني وجدت ما أحب، وأنني لست غبية ولا قليلة، وأنني أتحمل مسؤولية، وفخورة بنفسي. وفي النهاية، أكرمني الله، واشتغلت في مجالي بالصدفة، وكأنه كان مكتوبًا لي. تعرفت على أشخاص جدد وجميلين، وشاركت في أول كتاب مطبوع لي بأربع قصص قصيرة من أصل ١٥، والحمد لله، كل من قرأ أشاد بتميزي.

على مدار سنتين، قمت بجمع قصصي وعرضتها على عدة دور نشر حتى حصلت على موافقة لنشر أول كتاب لي بعنوان "غربة روح". حقق الكتاب نجاحًا ولله الحمد، وكان بداية لمشوار كتابتي

وليس نهاية. تلاه إصدار كتابي الثاني "امرأة ثلاثينية" الذي يحتوي على كل الخواطر التي كتبتها.

كما أجريت لقاءً تلفزيونيًا في قناة النيل الثقافية، حيث تحدثت عن كتابي بدعوة منهم، مما جعلني أشعر بالفخر أمام عائلتي، خاصة أمي وأبي، بعد حزنهما على أخي الراحل.

لكل من قال إنني بلا هدف، أو سخِر مني، أود أن أقول إنني الآن في مكانٍ مختلف. قصتي لم تنتهِ بعد. قصة أخي تمثل جزءًا من كتابي "غربة روح"، وأنا فخورة بكوني أخته، وأشعر أنني حولت حزني إلى نجاح بفضل ذكراه.

لا تدع أحدًا ينهي قصتك أو حياتك مهما كانت الظروف. استمر في النهوض بعد كل سقوط، واحتفظ بنظرة للأمام.

شارع المعز لدين الله الفاطمي

(سحر مصر القديمة)

في يوم ربيعي يميل إلى الشتاء، أشرقت الشمس بشكل غير اعتيادي، مما جعلني أتردد كثيرًا في اتخاذ قراري بالذهاب في رحلة قصيرة إلى القاهرة، تحديدًا إلى شارع المعز لدين الله الفاطمي. لم تستغرق الرحلة سوى بضع ساعات، لكنها تركت أثرًا عميقًا في نفسي.

كأن شخصًا آخر كان يسكنني، يدفعني للذهاب للالتقاء بأصدقاء لم أرَ اثنين منهم سوى مرة واحدة في حياتي، وكانت تلك لحظة عابرة تجمعنا فيها صورة تذكارية واحدة. أما الثالثة، فكان لقاؤنا الأول بمثابة روح تلاقت بأرواحنا، كما يقولون إن الروح ترى من تحب قبل أن تلتقي به العين.

وصلت مبكرًا إلى الكافيه، حيث انتظرتهن، مختبئة من شمس القاهرة التي كادت أن تحرقني. بعد فترة، رأيتهن أمامي بأوجه ملائكية ضاحكة، رحبوا بي بحرارة. شعرت كأنني فراشة تحلق في سماء واسعة، وكأنهن أخوات لم تلدهن أمي.

انطلقنا نحو الحسين وشارع المعز، وكنا في سباق مع الزمن. في طريقنا، توقفنا عند الجامع الأزهر الشريف، أول مسجد أُنشئ في القاهرة وأول عمل معماري قام به الفاطميون في مصر، حيث بدأ جوهر الصقلي أول الخلفاء الفاطميين في إنشائه عام ٩٧٠ ميلادي.

تعمقنا في الشوارع المزينة بزينة رمضان، وسط الكثير من المصاحف والسبح الملونة. توقفنا عند بيت زينب خاتون، الذي يقع خلف الجامع الأزهر، ويمتاز بتصميمه القديم المذهل. زينب خاتون كانت خادمة لمحمد بك الألفي، ثم تزوجت أميرًا وأصبحت تُلقب بـ "الخاتون". شاركت في نضال المصريين ضد الاحتلال الأجنبي، وكانت تأوي الفدائيين والجرحى.

بينما كنت غارقة في قصة زينب خاتون ومنزلها الأثري، شعرت بعظمة التاريخ الذي يحيط بنا.

تعالت ضحكاتنا، لتعيدني من خيالي، حيث التقطت صديقتي ندا لطفي، الكاتبة الموهوبة، وصديقتها الجميلة منة الله صورًا تذكارية معًا. ثم انطلقنا متوجهين إلى شارع المعز لدين الله الفاطمي، الذي لم تطأ قدميه يومًا من قبل.

يعود تاريخ شارع المعز إلى عصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، الذي حكم مصر بين عامي ٩٦٩ و٩٧٥ ميلادي. أصبح هذا الشارع أكبر متحف مفتوح للآثار الإسلامية في العالم، ويُعرف بموقعه التراثي الفريد. شُيد الشارع بين أسوار القاهرة القديمة، من باب الفتوح شمالًا إلى باب زويلة جنوبًا، حيث كانت لمصر القديمة ثمانية أبواب.

مررت بعدة حارات وشوارع تاريخية، مثل الدرب الأصفر وحارة برجوان وخان الخليلي والغروية. يضم شارع المعز تسعة وعشرين

أثرًا من آثار مدينة القاهرة، وحرصت على التقاط صور لي مع كل ركن من أركانه، بينما كانت صديقاتي يشرحن لي تفاصيل كل مكان، كأنني أستمع لتاريخ بلدي العظيم للمرة الأولى.

ثم ذهبنا إلى مسجد السلطان قلاوون، الذي يُعتبر تحفة معمارية تعود للعصر المملوكي، ويتكون من مسجد ومدرسة وقبة ومستشفى. أُنشئ عام ١٢٨٥ ميلادي، واستغرق بناؤه أربعة عشر شهرًا. تُعتبر القبة ثاني أجمل ضريح في العالم بعد تاج محل في الهند. ثم توجهنا لالتقاط صور تذكارية عند السبيل الصغير أمام المسجد.

مررنا بسبيلًا آخر وبحمام إينال، الذي شيده السلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال. كلمة إينال ذات أصل شركسي وتعني "شعاع القمر"، ويُعتبر من أقدم الحمامات في مصر القديمة.

قبل المرور بباب الفتوح، حيث نعلن نهاية شارعنا الراقي المزدحم بكل الناس، توقفنا عند متجر لبيع التحف وورق الهدايا ذو الطابع الفريد. دخلت صديقاتي، بينما وقفت أنا أنظر إلى الأرض والمتاجر

المغلقة، متأملة في كل تفصيلة بالشارع الذي سحرني منذ لقائي الأول به. تمنيت أن أمكث في حضنه مزيدًا من الوقت.

لفت انتباهي مفاجأة أثلجت قلبي، حيث قدمن لي هدية بسيطة لتبقى ذكرى دائمة لي منهن. لم يدركن أنهن ونس بروحي، كيف لي أن أنساه! وكطفلة صغيرة خجولة، احتضنت هديتي بفرحة لم أشعر بها منذ زمن بعيد.

ثم انطلقنا لأداء صلاة العصر في نهاية شارع المعز، حيث يقع مسجد الحاكم بأمر الله بجوار باب الفتوح. خلعنا نعالنا عند بابه، لأجد نفسي حافية القدمين في بيت الله، حيث تسللت راحة نفسية إلى داخلي، وكأنني طفل وُلد من جديد بلا خطايا. هرولنا للوضوء لنلحق بالصلاة، وشعرت بالماء يسري في روحي، كأنه يمنحني حياة جديدة.

جلست على الأرض بين يدي الله، بقلب يحبه يحمل الكثير من الدعاء، وإن لم ينطق لساني. كنت في صمت ممتع، خجولة بحضوره، وتمنيت ألا أغادر أبدًا.

يُعتبر مسجد الحاكم بأمر الله رابع أقدم مساجد القاهرة الفاطمية وثاني جوامعها اتساعًا. إذ رأى العزيز بالله الفاطمي أن جامع الأزهر لم يعد قادرًا على استيعاب المزيد من المصلين والدارسين، ففكر في بناء مسجد جديد وأكبر، واستكمل بناؤه ابنه الحاكم بأمر الله. وسُمي المسجد الذي خطف قلبي وروحي باسمه.

لتنتهي رحلتي القصيرة بشارع المعز، ودعته بدعاء أن ألتقي به مرة أخرى. بابتسامة من ثلاث جميلات تركن في روحي أثرًا طيبًا، ودعاء من قلب يتمنى أن يلقاهن مرة أخرى.

في يوم استوليت عليه كي أحيا واقعي، ورغم افتقادي لوجه ابني وأمي، تمنيت أن لا أعود إليه من جديد.

رجل عاند الله

وهل يفلح من يُعاند الله؟ هل يجدي نفعًا أن تمتلك قلبًا فولاذيًا يفتقر الإحساس بالخوف من الله، من وجوده، والإيمان به، والرضا بقضائه؟

تحت صراخ زوجته المسكينة من آلامها التي لم تشفع لها عند الزوج الأناني، كانت ليلة رعدية قاسية البرودة وكاحله السواد. آبي أن يتجلى بها القمر، فاستعجلها إلى مشفاه ظنًا منه أن همًا سَيُمحى من حياته.

لم يكن يدرك عاقبة عِنده مع الله، فتحولت ليلته لكأس ضيق فارغ محطم جارح لم يجرح سواه. خمسة عشر عامًا من حياة زوجية قاسية تخللها قسوة وإهانة، وقليل من الحب والأمان. تزوجت صفاء ابن عمها عادل في حفل بسيط من الأهل والأصدقاء، رغبة منه في أن يصبح أبًا لابن يحمل اسمه ومدادًا لعائلته.

سيرينا

آتى الرياح بما لا تشتهي سفينته، فقد أراد الله أن تكون أولى ذريته أنثى جميلة، لم يرَ فيها سوى نقمة تمرد على خَلقها. كان عادل أعمى البصر والبصيرة، فتمرد على إرادة الله ونفَر من زوجته وابنته. كان الإهمال سيد الموقف والقسوة أساس حياته، على أملٍ منه وقناعة بأن الصبي قادم لا محالة.

خمس بنات مؤنسات غاليات رزقه الله بهن، لم يُدرك فضل الله عليه بهن. انخرط في عمله وأهمل زوجته التي فشلت كل محاولاتها في جعله يحب مؤنساته. لم يكتفِ ولم يشعر بالرضا يومًا، رغم تعلقهن الشديد به وحبهن له.

زهور متفتحة، أصغرهن اثنا عشر شهرًا، عجزت عن جعل قلبه الصخري يلين. لم يكن لطمعه حدود، ولم تكن لأنانيته نهاية. تمرد وجحود تملكا قلبه، وتمسك بسراب الصبي القادم، كأنه يعاند الله في قدوم ما يجهله.

في حياة أسرته، لم يكن سوى ممول، نادرًا ما كان له وجود. تغافل عن حقوقهن ورأى حقوقًا زائفة تغلفت بعدم الرضا وقلة الإيمان بقلب ضعيف تعلق بمتاع الدنيا وما فيها. تعلق بصبي يجزم أنه متاع دنيته التي تحولت إلى جحيم بعقله المريض، وجحيم اكتوى بلهيبه كامل أسرته.

نالت ألسنته والديه اللذان عانا معه بإقناعه بأن يرضى بإرادة الله، حزنا لحال ابنهما الوحيد وانفطر قلبهما لبعده عن الله وتعلقه بدنيته.

انتابه الجنون عند سماعه للمرة السادسة بأن زوجته ستضع أنثى، وقرر أن ينهي حياة لم تكتمل برحم زوجته الضعيفة. ضرب بعرض الحائط كل شيء، ولم يرحم ضعف صفاء وحياتها المهددة.

خمسة عشر عامًا لم تشفع لصفاء بأن يرحم صحتها الهزيلة وكبر عمرها، وصمم على أن تجهض ابنته السادسة. أخطأ من أبلغك بأن الجنين أنثى، فقد كان صبيًا، لكنك لم تستمع لتحذيراتي بخطورة إجهاضها.

ووسط صراخ انتهى بصمت مفجع، كانت كلمات الطبيب له كالسيف على روحه: "رحم الله زوجتك وابنك، وتغمدهما الله بواسع رحمته."

ليلة العيد

كانت الدنيا باردة، والليل قارس، ورغم انتشار جائحة كورونا في ذلك الوقت وخوف الناس من التجمعات، إلا أنه عندما دقت الساعة التاسعة، امتلأ الكوافير عن آخره. بقيتُ جالسة بصمت، أتأمل الوجوه، وهذا ما لاحظته:

أولًا، الكورونا لا تأتي أبدًا إلى الكوافير ليلة العيد، يا مؤمن!

ستكتشفين أن هناك أناسًا خفيفي الروح، وستضحكين وتشعرين ببهجة العيد.

ستتعرفين على عقليات الفتيات الصغيرات وتعرفين كيف يفكرن!

وستلاحظين أن الشخصية تختلف قبل وبعد تصفيف الشعر. قبل تصفيفه،، وبعد ه، تشعر كأنها "أنجلينا جولي"، ويزيد الشعور روعة لو كان حبيبها " ينتظرها بالخارج (ملحوظة: لم نكن أطفالًا أبدًا).

ستقابلين كل سيدات المنطقة وتتعرضين لبعض الإحراج.

قابلت صديقتي من أيام الطفولة، ورأتني في هيئة "المرهقة،

، سيكون المكان مزدحمًا ولن تتمكني من إنجاز شيء، وإذا أنجزتِ، ستجدين الجميع يحدق فيك، خاصة لو كان لون شعرك مختلفًا عن الآخرين.

لكن سيكون الوقت ممتعًا والأهم أنك ستشعرين بفرحة العيد وأنك خرجت من منزلك لتقضية بعض الوقت حتي وإن كان مع من لا تعرفينهم.

قاتل أبي

"أبي، استيقظ يا أبي!" جاء صوت علي مفعمًا بالذعر والحذر بعد رؤية الغرباء في منزله. هرع ليوقظ والده من نومه العميق محذرًا من وجود لصوص.

لكن والده رد عليه بسخرية: "كيف لحلم أن يُحذرك، عد إلى النوم." لم يكترث علي لحديث والده وأسرع ليجد مجموعة من ثلاثة لصوص ملثمين. كان بينهم من يملك عينين مختلفتين: واحدة زرقاء والأخرى بنية.

استرق علي السمع، محتضنًا قطته كطفل يحتمي بأمه. لكن الضجة أيقظت والده الذي وجد اللصوص يبحثون عنه بجنون. لم يكتفوا بسرقة المنزل بل قتلوا والده عند دفاعه عنهم، تاركين علي في صدمة الفقد.

عاشت العائلة حياة بسيطة ميسورة الحال، تتكون من أب وأم وطفلتهم مريم ذات الخمس سنوات وأخوهم طه. كانت حياتهم هادئة في إحدى القرى الريفية، حيث تميزت بحب الجميع لبعضهم، وكانت جدتهم تعشق أحفادها.

شعرت الأم بتعب واكتشفت حملها، وعندما وضعت المولود، رحلت تاركة خلفها صبيًا يُدعى علي، كالقمر، في أحضان والده وأخوته.

كبر علي سريعًا، متميزًا بذكاء حاد وسرعة بديهة. كان يتسابق مع جيرانه ويفوز دائمًا، وتمتع بقوة بدنية فائقة. لاحظت جدته هبة الله له في فهمه لمخلوقات الله، لكن والده لم يستوعب ذلك.

توقف زمن علي عند وفاة والده ليصبح يتيمًا، فتقرر جدته أن تنتقل بهم إلى المدينة مع عمهم. هناك، استمر تواصله مع صديقه يوسف، حتى انتقل يوسف أيضًا لاستكمال دراسته.

وذات يوم، بينما كان يجلس مع عمه يتحدثان، رأى وجهًا مألوفًا له بعينين مختلفتين. ارتبطت الأحداث في ذهنه الذكي، ولم يكن عليه سوى الانتظار حتى جاءت لحظة المواجهة، حيث حاول الموظف الهروب، مما زاد من تأكيد شكوك علي.

اعترف الموظف لعلي بأنه قاتل والده، ولكن بتوجيه من عمه الجشع، الذي كان يهدف لاستغلال ذكاء علي الثمين. أراد عمه مقاضاة علماء فاسدين لإجراء فحوصات على علي لاكتشاف سر ذكائه الحاد مقابل أموال طائلة. وعندما فشلوا في خطفه، قاموا بسرقة منزله وقتلوا والده.

كانت كلمات الموظف كالصاعقة، مما أشعل نار الانتقام في قلب علي. لم يتمالك نفسه، وتركه جثة هامدة. بسرعة وذكاء، تخلص من الجثة ودفنها في مخزن عمه دون أن يراه أحد.

هكذا تحولت منحة الله إلى محنة من ظلم البشر، واندلعت شرارة الانتقام. أصبح اسم علي رمزًا للأمل في قلوب من ظلموا، ليصبح تجسيدًا للصراع ضد الظلم ونصرة كل مظلوم.

انتقام روح معذبة

لم يكن سهلًا على الطفل الذي يبلغ عشر سنوات أن يشهد والدته تتعرض للضرب من والده، ثم تُسحب على الأرض، والأسوأ أنه يرى والدته تُنحر. فجأة، يجد نفسه وحيدًا بلا أب أو أم، في لحظة تجمد فيها الوقت.

في شتاء روسيا المغطاة بالثلوج، دقت الساعة العاشرة صباحًا، وذهب الضابط المصري المقيم هناك إلى عمله ككل يوم. تم استدعاؤه لحل قضية غامضة تتعلق باختفاء العديد من الأمهات في منطقته. عجز هو وزملاؤه في الشرطة عن معرفة السبب وراء اختفائهن: هل هو هروب أم انتحار أم جريمة قتل.

غمر الضابط نفسه في العمل، متناسيًا حياته الشخصية وعلاقته بابنه من طليقته. ومع مرور الأيام، جاءه خبر مأساوي من ابنه بأن والدته مختفية منذ الليلة الماضية.

مفزوعًا، بدأ الضابط رحلة البحث مع زملائه، بمساعدة ابنه وزوج طليقته، الذي كان محاميًا. مع مرور الوقت، شعر الجميع بالإحباط وفقدوا الأمل في العثور على الأمهات المختفيات.

بعد عام، وفي عيد ميلاد والدته الذي مر عليه أكثر من سنة، لاحظ الضابط خدوشًا على يد زوج طليقته وملابسه الممزقة. وعندما سأل عن السبب، أجابه بأنه كان يصطاد. كانت تلك اللحظة بداية خيط الأمل.

بدأ الضابط بمراقبة زوج طليقته حتى اكتشف أنه يتردد على بيت مهجور في غابة بعيدة. وعندما اقتحم البيت، وجد طليقته مكبلة ووجهها مدمى، وأظافرها مكسورة من شدة مقاومتها. وحولها جثث أخرى لنساء في مثل سنها.

قبل أن يستطيع فك قيودها، واجهه زوج طليقته بمسدس، ودار بينهما مواجهة عنيفة. استسلم الجاني في النهاية، قائلًا: "كان يجب أن أفعل ذلك، كانت كل أم يجب أن تُعذب وتموت كما فعلت أمي."

بيت زجاجي

كان البيت الزجاجي الضخم وكأنه واحة من الضباب وسط سحب كثيفة، تغلفه أمطار غزيرة في طقس شديد البرودة. لم يلمح القليل من ضوء الشمس. ركضت ليالي، الطفلة ذات العشر سنوات، نحو منزلها الجديد وكأنه جنتها على الأرض، متقدمة والدتها وزوجها، الذي اعتبرته أبًا لها منذ أن استيقظ وعيها في هذه الدنيا. كان عطوفًا ورحيمًا بها دائمًا، محبًا لوالدتها بعد وفاة والدها، الذي لم تره في حياتها.

في فرحة عارمة تكسو قلب طفلة بريئة، تحققت أمنيتها أخيرًا في بيت جديد بحديقة واسعة وغرفة جديدة تحتضن عالمها بالكامل. أخذت ليالي تتأمل المنزل بعد أن اختارت غرفتها الأوسع. لكنها لم تكن تعلم أن جنتها زائفة، وأن أيامها ستكون بلهب من النار.

سيرينا

كان المنزل يبعد كثيرًا عن مدرستها، مما جعل كل يوم يمثل مشوارًا شاقًا. ومع ذلك، كانت تستيقظ صباحًا لتبتسم أمام مرآتها الكبيرة، التي تكاد تبتلع غرفتها. كانت غرفتها فارهة، مليئة بالمرايا على جوانب حوائطها، وخزانة ملابسها الكبيرة تكسو عرض حائطها.

في أحد الأيام، بينما كانت تمشط شعرها، انفجرت في البكاء بسبب تحطم لعبتها المفضلة. وفجأة، وجدت نفسها في المرآة تضحك بملامح صاخبة، مرعبة، ولم تستوعب ليالي من يضحك بينما دموعها على وجنتيها. صرخة عالية انطلقت منها، مما استدعى والدتها لتأتي وتسأل عما حدث. احتضنتها والدتها حتى هدأت، وظنت أنها توهمت ما رأت.

جاء يوم جديد، استيقظت ليالي فيه لتذهب إلى مدرستها، واعتقدت أنها توهمت ما حدث. ولكن عند عودتها، لمحت صورتها في النافذة، ملامح مرعبة وكأنها قرينتها. ركضت مسرعة إلى غرفتها تبحث عن أحد، لكنها لم تجد أحدًا.

رانيا أحمد

تبدلت ملابسها وغسلت يديها، استعدادًا لتناول الغداء، لتجد تلك الصورة تبكي أمامها، محاولة التحدث إليها. وبفضول الطفلة، سألتها: "عايزة إيه مني؟! إنتِ مين؟" لتجيبها: "أنا إنتِ، اللي قتلني زوجها." ثم اختفت من جديد، تاركة ليالي في حيرة.

غابت ليالي عن وعيها لفترة، واستعادت وعيها على صوت والدتها تناديها لتناول الغداء. سارعت لتروي لوالدتها ما حدث، لكن الصمت خيم على المائدة. لم يقطع صمتهم سوى صوت ملعقة والدتها، وكأن شيئًا لم يحدث. احتضنتها والدتها، محاولًة طمأنتها، معتقدة أن ما رويته مجرد أوهام.

تلك الليلة، استيقظت الأم على صوت يناديها بحزن: "يا أمي، افتقدك." وعندما فتحت عينيها، وجدت شبيهة ابنتها أمامها، وفي ذهول، أمسكت ليالي لتختبئ بها. استمعوا معًا لحديثٍ يختلط فيه الخوف والرعب.

قالت الشبيهة: "يا أمي، زوجك قتلني وقتل أختي التوأم، لكن ليالي نجت. عانينا في الحضانة، وهو انتهز الفرصة، وحقننا بجرعة قاتلة. لقد تعبت وماتت، ولم يُعاقب أحد."

بصوت يملؤه الحشرجة والحزن، روت ما كانت تخفيه الأم، محرضة إياها على الانتقام. بقوة غريبة، سيطرت على الأم، التي انتزعت نفسها من فراش ابنتها وتحركت نحو فراش زوجها، حاملة سكينًا، وغرستها في صدره.

لتنهي حياة قاتل ابنتها، لتستيقظ على صرخاتها الدامية على تهدئة زوجها وابنتها الجميلة ليالي، وهي تحمل بيدها كوبًا من الماء كي ترتشف القليل منه.

جدو والحرامي

"صباح الخير، يا جدو! صباح الخير، يا حبيبي! هل ستذهب إلى كليتك؟ نعم، يا جدو، يلا يا حبيبي، ربنا معك!"

"ياسعاد، ياسعاد، الحقيني! هناك حرامي في البيت! امسكوه!"

جاءت زوجته مسرعة من المطبخ، تسأله بقلق: "أين هو الحرامي، يا حج؟"

أشار إليها بحفيده الذي عاش معهم منذ وفاة والديه. "يا حج، إنه إسلام حفيدك!"

رد سريعًا: "لا، إن الحرامي... لحظة صمت... إسلام من؟"

رد إسلام ببراءة: "أنا إسلام!"

"أهلًا وسهلًا، صباح الخير، يا حبيبي!"

تدخلت الجدّة بسرعة: "أسرع إلى كليتك قبل أن يطلب البوليس ويسأل مجددًا: من أنت؟"

ركض إسلام إلى كليته، حيث كان في السنة الرابعة بتفوق، محبوبًا من أصدقائه وأساتذته. إسلام شاب جميل، فقد والدَيْه في حادثٍ عندما كان صغيرًا، وتربّى بين أحضان جده وجدته اللذين بلغا من العمر أرذله.

"الحقوني! الحقوني! هناك حرامي في البيت!" كانت استغاثة من صوت الحج سعيد، عندما وقف في شباك غرفته في الطابق الأرضي، ينادي على الناس. تجمع الناس حوله ليستفسروا.

قالوا له: "إسلام، حفيدك هنا، مستغرب: ماذا يحدث، يا جماعة؟"

أجابوه: "جدو، لقد ادعى أنك تنادي على الحرامي في البيت."

فجأة، قال الحج سعيد: "أمسكوه!" وأمسك برقبة إسلام: "ها هو، أمسكوه!"

دخلت الجدّة من المطبخ، مشغولة بتنقية الرز، لتسمع ما حدث. "ماذا، يا حج، إنه إسلام حفيدك!"

رد الحج سعيد، وقد غمره الضحك: "أهلًا يا حبيبي، إنه إسلام حفيدي!"

ضحك الناس، وقالوا له: "ركز، يا حج، نحن قلنا إن هناك مصيبة!"

احتضنه إسلام وقبّل رأسه، قائلًا: "يا جدو، أنا إسلام!"

رد الحج: "بالطبع، يا ولدي، هل سأنسى وجودك؟"

عادت الجدّة إلى مطبخها الذي تحب قضاء الساعات فيه، بينما عاد الجد إلى الشباك يتأمل الشارع، وعاد إسلام لمذاكرته استعدادًا للامتحان.

فجأة، سمع إسلام صوت الباب يضرب. قام ليتفقد الأمر، لكنه اكتشف أن جده أخذ عصاه وارتدى ملابسه ونزل.

نزل يجري وراءه في الشوارع، وفجأة سمع صوت عم إبراهيم البقال: "يا بشمهندس إسلام، جدك هنا عندنا."

دخل إسلام ليجد جده يجلس، يشرب شيئًا باردًا. أول ما رآه، قال: "امسكوه، إنه الحرامي الذي كان في بيتنا وكان سيقتل زوجتي ويسرق أموالي!"

ذهل الناس وضحكوا، فقد فهموا أن ذاكرته قد تلاشت، وبحكم سنه الذي تعدى الثمانين، لم يعد يعرف من هو حفيده ومن هو الغريب.

في اليوم التالي، استيقظ إسلام ليذهب إلى امتحانه، وعندما عاد إلى المنزل، لم يجد جده وجدته. وجد ورقة كتبها له: "لقد رحلنا، ولا تبحث عنا، نحن قاطعناك."

ظل إسلام يتجول في الشوارع كالمجنون، يسأل الناس، لكن لم ير أحد منهم جده وجدته. جلس على الرصيف أمام البيت، حاطًا رأسه بين يديه، لا يعرف إلى أين يذهب أو ماذا يفعل.

عاد إلى البيت، وكل شيء يأس. بعد ذهابه إلى القسم، قالوا له: "يجب أن تمر ٤٨ ساعة على اختفائهم."

سيرينا

بينما ينظر بزاوية عينه، رأى دولابه مفتوحًا، وفلوسه التي كان قد ادخرها سنين مفقودة. لم يجد فيه سوى ورقة بيضاء قرأها، ضاحكًا هيستيريًا بعد أن فهم مكتوبًا فيها: "أخذت أموالك، لا أحد أفضل من أحد، يا حرامي. توقيع: جدك."

خاتمة

مع ختام هذه المجموعة من القصص، نصل إلى نهاية رحلة استثنائية تمكنا فيها من استكشاف أعماق المشاعر الإنسانية وتجارب الحياة. كل قصة هنا تمثل لمحة عن عالم مليء بالتحديات والانتصارات، آلام الفراق وأفراح اللقاء.

آمل أن تكون هذه القصص قد أثرت فيكم، وألهمتكم للتفكير في مسارات حياتكم الخاصة. فكل تجربة، مهما كانت بسيطة، تحمل دروسًا قيمة يمكن أن تضيء الطريق أمامنا.

شكرًا لكم على مرافقتكم لنا في هذه الرحلة الأدبية. لنواصل معًا البحث عن الجمال والمعاني في كل ما يحيط بنا، ولنكتب قصصنا الخاصة بكل شغف وإبداع.

المحتويات

إهداء ٥

عن الكاتبة ٧

المقدمة ٩

نورة الطقطاقة ١١

سيرينا ١٥

ذنب ببيت الله الحرام ١٩

حين تقسوا الحياة ٢٣

الذنب المُدمِّر ٣٧

قصتي ٤٣

شارع المعز لدين الله الفاطمي ٥١

رجل عاند الله ٥٧

ليلة العيد ٦١

قاتل أبي ٦٣
انتقام روح معذبة ٦٧
بيت زجاجي ٦٩
جدو والحرامي ٧٣
خاتمة ٧٩
المحتويات ٨١